

**معاهدة مكة عام ١٩٢٦
وانحركاتها الإقليمية والدولية**

الدكتور مفيد الزبيدي

جامعة بغداد

معاهدة مكة عام ١٩٢٦ وانعكاساتها الإقليمية والدولية

حظيت منطقة شبه الجزيرة العربية باهتمام كبير من قبل القوى الكبرى بعد الحرب العالمية الأولى، لكونها تمثل عقدة مواصلات بحرية وبرية بين أوروبا من جهة والشرق الأقصى من جهة أخرى، فضلاً عن المنافسة الدولية في منطقة الجنوب الغربي منها من أجل السيطرة على الساحل الممتد على طول البحر الأحمر غرباً. وعلى هذا الأساس يهدف هذا البحث إلى دراسة المواقف الإقليمية والدولية من التوقيع على معاهدة مكة في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٦ والعلاقات السعودية - اليمنية، هذه المعاهدة التي جاءت ثمن تسويات مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

١- الموقع الجغرافي للبحر الأحمر:

يتميز البحر الأحمر بأهمية سياسية وجغرافية واقتصادية وعسكرية لكونه يمثل قناة الاتصال بين المحيطين الأطلسي والهندي عبر البحر المتوسط، والمشرق على منطقة الخليج العربي، والمتحكم بالبحر المتوسط. وتطل عليه عدة دول مثل المملكة العربية السعودية واليمن والصومال وأرتيرية وجيبوتي والسودان، وتبلغ مساحة البحر الأحمر ٤٥٨,٤٨ كم^٢ وعمقه ٤٩١ م، ويقع بين خطي عرض ١٠، ٣٠ شمالاً وخطي طول ٢٥، ٥٥ شرقاً، ويتصل بقناة السويس شمالاً، ومضيق باب المندب جنوباً، ويضم على جانبيه عدة جزر هي فرسان في عسير، وسواكره في السودان، وباضع في اليمن، وقمران في اليمن أيضاً، ودهلك في أريتيرية^(١).

أما عسير فتقع في جنوب ساحل البحر الأحمر نقطة التقاء الحجاز شمالاً واليمن جنوباً، ونجد شرقاً والبحر الأحمر غرباً^(٢)، ولعسير حدود طويلة نسبياً تمتد من الليث شمالاً حتى زهران وشمران ووادي رينة، وجنوباً من الحديد إلى المخا

ودراعة وسمار الشام، وحمدان وصعدة وحاشد وتكبير وتنتهي بوادي الفرع ووصلة. أما شرقاً فتبدأ من الدواسر وماء عيلان وبيشة، وغرباً على طول الساحل الشرقي المطل على البحر الأحمر في الجزء المقابل لعسير^(٣).

وعلى هذا الأساس فإن موقع عسير يعد ذو أهمية كبيرة سياسياً وجغرافياً، فضلاً عن تنوع مصادرها الاقتصادية الزراعية والتجارية، ووجود الموارد المائية الوفيرة فيها، والموانئ البحرية مثل الجديدة، والقنفذة على مسافة منها، مما جعلها تكتسب بذلك أهمية كبيرة وتجعل الدولة المسيطرة عليها تحصل على مكانة متميزة في هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية.

٢- الظروف المؤدية لعقد المعاهدة:

ارتبط تاريخ اليمن الحديث بعلاقاته مع ثلاث قوى هي بريطانية، وإيطالية، والدولة العثمانية، والتي انعكست سياساتها في هذه المنطقة على مصير وتاريخ اليمن دون شك.

ارتبط اليمن في الثلث الأول من القرن السادس عشر بالحكم العثماني في عهد السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) أول الأمر، عندما سعى إلى فرض السيطرة العثمانية على المشرق العربي بعد دخول الشام ١٥١٦، ثم مصر ١٥١٧، ومحاولة الوصول إلى اليمن بحجة الدفاع عن البحر الأحمر، والحدود الجنوبية للوجود العثماني في البلاد العثمانية، والوقوف أمام الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، ولاستكمال السيطرة على مصر بتأمين حدودها الجنوبية الشرقية. وقد استغل العثمانيون ضعف الحكم المملوكي في الشام ومصر، وبذلك استطاعوا في عام ١٥٣٨ من دخول اليمن في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦)، بعد أن دخل بغداد عام ١٥٣٤. وبذلك فرض سيطرته على معظم بلاد المشرق العربي، وكان هدفه الحقيقي من دخول اليمن هو التحكم بقنوات المواصلات بين قناة السويس

ومضيق باب المنذب من خلال مياه البحر الأحمر^(٤).

ولكن العثمانيين لم يستطيعوا في واقع الأمر أن يفرضوا سيطرتهم على كامل بلاد اليمن إلا في عام ١٨٧٢ حيث طبقوا قانون الولايات العثماني في البلاد العربية، وقسموا اليمن إلى أربعة ولايات رئيسية هي صنعاء، والحديدة، وعسير، وتغز^(٥).

وقد مارس العثمانيون إدارة مباشرة على عسير عن طريق المتصرف العثماني الذي عينوه عليها، وحكم الوالي رديف باشا ثم الوالي مختار باشا "متصرفية عسير" التابعة لولاية اليمن للفترة بين (١٨٧٢ - ١٩١٠).

وظل الأمر هكذا حتى تمكن الإدارة^(٦) من بسط نفوذهم على عسير، وانتزاع اعتراف عثماني بحكم قائممقامية صبيا وأبا عريش أيضاً في ظل ظروف انحلال الدولة العثمانية ومجيء جماعة الاتحاد والترقي، (١٩٠٩ - ١٩١٨)، الذين تغافلوا عن تحركات الإدارة، وأوعزوا للوالي محي الدين باشا بالرحيل بحراً عن عسير وتسليمها لأهلها، فسارع محمد علي بن محمد بن أحمد الإدريسي بإعلان دخوله الحرب العالمية الأولى إلى جانب بريطانية وحلفائها بعقد معاهدة جيزان في ٣٠ نيسان/أبريل ١٩١٥، وتعهد بموجبها بوقفه والإدارة إلى جانب بريطانية ضد الدولة العثمانية، وفي المقابل تعهدت بريطانية بتقديم الحماية الكافية له ضد أية تهديدات خارجية يتعرض لها وأسرته، وقررت منحه الأسلحة والأموال، بشرط عدم دخوله في علاقات سياسية، بأية قوة أجنبية دون موافقة بريطانية. وقد جددت هذه المعاهدة بين الطرفين في كانون الثاني/يناير ١٩١٧ حينما قدمت بريطانية للإدريسي ميناء الحديدة الذي انتزعه من اليمن، ومكافأة شهرية قدرها ٥٠٠٠ جنيه استرليني^(٧).

ولكن كيف تحدد مصير عسير في التاريخ المعاصر في منطقة شبه الجزيرة العربية؟

للإجابة عن ذلك، لابد من استعراض سريع لخارطة القوى السياسية في هذه المنطقة في تلك المرحلة، ففي نجد، استطاع الملك عبد العزيز آل سعود (١٨٨٠ -

(١٩٥٣) أن يثبت حكم الدولة السعودية بعد أن انتزع اعتراف بريطانية فيها بحكم آل سعود لنجد والحسا والقطيف وملحقاتها.

أما في الحجاز، فقد أعلن شريف مكة الحسين بن علي (١٨٨٠ - ١٩٣٠م) الثورة في ١٠ حزيران/يونيو ١٩١٦ في الحجاز ضد الحكم العثماني، بعد اتفائه مع بريطانية بمنحه في مقابل ذلك الاستقلال الكامل في الحجاز وبقية البلاد العربية بموجب مراسلات "حسين - مكماهون".

وفي اليمن، وقف الإمام يحيى حميد الدين (١٨٦٩ - ١٩٤٨) تجاه أية محاولة لدخول اليمن في الحرب العالمية الأولى، وتخلص من الحكم العثماني الطويل على بلاده، وحاول اتخاذ موقف محايد من الأطراف المتصارعة في الحرب^(٨).

وهكذا تناقضت مواقف القوى الإقليمية من إعلان الحرب العالمية الأولى واتباع سياسة مؤيدة أو محايدة لبريطانية وحلفائها، مما سينعكس ذلك بداهة على مواقف هذه القوى في تحديد مصير عسير.

كانت المطالبة من قبل الإمام يحيى بعودة عسير إلى اليمن، في حين دعا الأدارسة إلى الإبقاء على عسير ضمن حدود إمارتهم بوضعها الجديد، وزاد من حدة الصراع بين الجانبين تدخل القوى الإقليمية والدولية بجانب هذا الطرف أو ذاك، كل حسب مصالحه وسياساته في المنطقة.

ومن جانب آخر، فإن ثمة عوامل موضوعية حدثت من هذا الصراع وقربت من التحالف السعودي - الإدريسي، حيث نقل الرحالة اللبناني أمين الريحاني مستشار الملك عبد العزيز آل سعود حينذاك خلال زيارته للمنطقة، أن حقيقة الخلاف تكمن في ضعف القدرة العسكرية لليمن مقارنة بالأدارسة، والاختلاف المذهبي بينهما، ودعم بريطانية القوي للأدارسة عسكرياً ومالياً ومعنوياً ضد اليمن مكافأة لهم على إعلان وقوفهم إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى^(٩)، في حين لم يرضِ بريطانية موقف الحياذ الذي اتبعه الإمام يحيى في هذه الحرب، ودخوله في تحالف مع إيطالية

المتنافسة مع بريطانية في هذه المنطقة^(١٠).

وعلى هذا الأساس بنيت الأسس المتينة والمشاركة للصدقة بين آل سعود والأدارسة، وبدأت منذ أن أعلن الإدريسي في عام ١٩١٩ في رسالة وجهها إلى الملك عبد العزيز آل سعود يعلن تأييده وتهنئته له بمناسبة انتصاره على الشريف حسين في معركة تربة^(١١).

وبعد عام بعثت قبائل من عسير تشكو جور وظلم آل عائض^(١٢)، فحاول الملك عبد العزيز آل سعود الصلح بينهما، ولكن آل عائض رفضوا ذلك فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة محمد بن عبد الرحمن بن جلوى إلى عسير، وجرت معركة "جحلة"، وانتصر آل سعود ودخلوا عسير، وأتاب الملك عبد العزيز بن جلوى وكيلاً عنه ثم عاد إلى الرياض، ولكن آل عائض عادوا ثانية وخرجوا عليه، فجهز الملك عبد العزيز هذه المرة جيشاً بقيادة نجله الأمير فيصل بن عبد العزيز، واستطاع احتلال أبها، وفر آل عائض إلى الحجاز ولقوا دعم وحماية الشريف حسين مادياً وعسكرياً، وعادوا ثانية إلى عسير ولكنهم فشلوا أيضاً في تحقيق أحلامهم، وفضلوا أخيراً اللجوء إلى آل سعود والإقامة بين يديهم^(١٣).

وتم عقد معاهدة "الأخوة والصدقة بين الأدارسة والملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٩٢٠ تم فيها تقسيم الأشراف على قبائل عسير بين الطرفين لضمان استقرار الإمارة تحت حكم الأدارسة^(١٤).

ولكن الأدارسة في عسير بدأوا بالضعف والانحلال بعد وفاة محمد علي الإدريسي في ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٢٣، ومجيء نجله السيد علي والذي كان ضعيف الشخصية، وغير قادر على إدارة البلاد، فانتهاز الإمام يحيى الفرصة واستولى على ميناء الحديدة ثم صبيبا، وجيزان، وباجل، واللحية، وميدى^(١٥)، وتحول القتال إلى تهامة، وعلى وشك الدخول في مواجهة حاسمة في شمال عسير^(١٦).

وقد تدخلت بريطانية وإيطالية في هذه الأزمة الخطيرة نظراً لتهديد ذلك لموقف

بريطانية ومصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وتخوفت من انتصار الإمام يحيى ومنافسته لها في عسير وعدن، والدعم الذي يلقاه من إيطالية وتبليست نفوذها في المنطقة ومنافستها لبريطانية على المصالح الحيوية، ولكن الغريب في الأمر أن بريطانيا رفضت النداءات المتكررة من الإدريسي للتدخل ضد الإمام يحيى وإيطالية بحسب صيغة معاهدي ١٩١٥، ١٩١٧ بين بريطانيا والأدارسة، ولكن الأولى رفضت ذلك بحجة أن المعاهدين لم تشيرا إلى دعم الأدارسة في قضايا خارجية. بل مساندتهم في تثبيت حكمهم ودعمهم مالياً وعسكرياً في القضايا والشؤون الداخلية، وإن الصراع مع الإمام يحيى شأن محلي (عربي) لا دخل لبريطانية به^(١٧). ويبدو سبب هذا الموقف أن بريطانيا رأت أن الأدارسة أصبحوا قوة غير قادرة بشكل كامل على الحفاظ على مصالحهم الاستراتيجية بالشكل الذي يدفعها للمجازفة في دخول مواجهة مباشرة مع إمام اليمن وحليفته إيطالية، مما قد ينعكس على مجمل ميدان الصراع معها في الشرق الأوسط حتى أوربة.

٣- عقد المعاهدة:

وقد أدت هذه الأزمة إلى محاصرة الزعيم الإدريسي، فثار أهل عسير، وعزلوه ونصبوا بدلاً منه عمه الحسن الإدريسي الذي طالب مجدداً بتدخل بريطانيا ودعمه ضد اليمن، ولكنها جددت موقفها السابق في عدم التدخل، مما دفعه ذلك إلى طلب مساعدة الملك عبد العزيز آل سعود بعد أن وصل إلى مكانة متميزة في نجد بدخول نجد ١٩٠٢، والحسا ١٩١٣، وحائل ١٩٢١، والحجاز ١٩٢٥، وأصبح أكبر قوة فعلية في شبه الجزيرة العربية، والوحيد القادر أمام أطماع إمام اليمن في ساحل البحر الأحمر ولاسيما عسير^(١٨).

فبعث الحسن الإدريسي وفداً إلى مكة المكرمة في شباط/فبراير ١٩٢٦ برئاسة محمد بن هادي النعمي الذي قدم الطاعة والولاء للملك عبد العزيز آل سعود،

وطلب مساعدته ضد الإمام يحيى، ولكن عبد العزيز تريت في الأمر في الوقت الذي كان منشغلاً في ترتيب الأوضاع في الحجاز^(١٩).

ثم جدد الإدريسي دعوته إلى الملك عبد العزيز بإرسال وفد في أيار /مايو ١٩٢٦ برئاسة علي الميرغلي، ولكنه كرر موقفه السابق، ورغبته في الإبقاء على حسن العلاقة مع إمام اليمن، وتجنب الدخول في مواجهة مباشرة معه، ودعاهم إلى التفاوض مع إمام اليمن لحل أزمة عسير. ولكن الإدريسي أرسل في تشرين الأول/أكتوبر من السنة ذاتها وفداً برئاسة السيد أحمد الشريف السنوسي الذي قدم من المغرب الأقصى في زيارة الإدريسي، واقترح عليه أن يتحالف مع الملك عبد العزيز آل سعود لمواجهة الإمام يحيى.

وأبدى استعداداه للوساطة بهذا الشأن، وبالفعل ذهب إلى الحجاز والتقى الملك عبد العزيز آل سعود، وعرض عليه بإلحاح طلب الإدريسي في التحالف معه، وأخيراً ونظراً للمكانة الطيبة للشريف السنوسي لدى العاهل السعودي وافق على الدخول في معاهدة وقعت بينهما، وعرفت بـ "معاهدة مكة" في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٦^(٢٠).

وعلى الفور، أرسل الملك عبد العزيز قوات عسكرية إلى عسير، ونصب الحسن الإدريسي حاكماً على عسير، وأبقى الشؤون الخارجية تحت حكمه، وتعهد بدعم الإدارة تجاه تهديدات خارجية أو داخلية يتعرض لها، وأصبحت عسير تحت السيادة شبه الفعلية للملك عبد العزيز آل سعود^(٢١).

واستمرت الأمور بهذا الحال حتى خرج الحسن الإدريسي على الحكم السعودي في عام ١٩٣٠، فأرسل الملك عبد العزيز قوات عسكرية لإيقافه، لكنه هرب إلى صنعاء واحتسب لدى الإمام يحيى^(٢٢)، وكتب إليه يقول:

«كتب جلالكم وصلت برفقة العبدلي وتذاكرنا مع وفدكم ونقرر بمواقفنا ورضانا إسناد إدارة البلاد وماليتها إلى عهد جلالكم^(٢٣)».

أسفرت معاهدة مكة عن تأزم العلاقات البريطانية-الإيطالية فلم يعترف الإمام يحيى بالمعاهدة، وقلصت نفوذ إيطالية على البحر الأحمر، وتطلّعها تجاه شمال اليمن^(٢٤). وأيدت وزارة البحرية ضم جزر فرسان وخليج قمران إلى آل سعود، وإبعاد الأطماع الإيطالية.

بينما عدتها روما إضعافاً لنفوذها وتقوية لنفوذ لندن، وخشيت من فقدانها لنفوذها ومصالحها الحيوية بالمنطقة^(٢٥).

واعترف المؤرخ الإنكليزي ستيفن همسلي لونكريك Stephen H. Longrigg أن المعاهدة حققت للملك عبد العزيز فرض كامل سيطرته على شبه الجزيرة العربية، وأصبحت حدود دولته تمتد بعد ضم عسير على أربعة أخماس المنطقة، وتصل شمالاً إلى حدود الكويت وشرق الأردن والعراق، وجنوباً إلى اليمن وعمان، وشرقاً إلى البحرين وقطر وإمارات ساحل عمان، وتطل على طول ٣٠٠ ميل على ساحل الخليج العربي ومسافة ١٠٠ ميل على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي^(٢٦).

وانتقلت بعد توقيع المعاهدة تسمية الدولة السعودية من "سلطنة نجد ومملكة الحجاز وملحقاتها"، إلى المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها"، وذلك في ١٩ كانون الثاني/يناير ١٩٢٧ وأصبح يلقب بـ "ملك الحجاز ونجد وملحقاتها"^(٢٧).

٤- موقف إمام اليمن من المعاهدة:

كان حلم الإمام يحيى استعادة عسير من الإدارة وضماها إلى بلاده، ويرسم سياسته على أساس الامتداد نحو الشمال وضم عسير، ولكن دخول عسير في تبعية آل سعود حرم الإمام يحيى من تطلعاته، وحرمه من منفذ بحري متميز^(٢٨).

وظل الإمام يحيى في سياسته غير الودية مع الإدارة، ولكنه واجه عدة مشكلات أخرى داخلية في هذه الفترة مثل تصاعد ثورة الزرانيق^(٢٩) في اليمن، وازدياد أطماعهم في عدن^(٣٠)، ولذلك اتبع الإمام يحيى سياسة ضبط النفس والتريث،

وحاول التحرش بتهامة وجس النبض، ولكن الملك عبد العزيز آل سعود أرسل وفداً إلى صنعاء لتثبيت الحدود، وتوطيد العلاقات مع إمام اليمن، وحمل الوفد الهدايا تعبيراً عن حسن النوايا^(٣١)، وضم رجالات بارزة مثل سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب بن محمد، وتركي بن محمد بن محمد بن ماضي في حين شكل الإمام وفداً لإجراء المباحثات ضم عبد الله الوزير، وأحمد هاشم، ومحمد حيدر النعيمي، وتناولت المحادثات عدة قضايا هي:

- ١- مقاومة النفوذ الأجنبي في المنطقة.
- ٢- تنظيم العلاقات السياسية طبقاً للتعامل الدولي.
- ٣- إبقاء عسير على وضعها الحالي تحت سيطرة الملك عبد العزيز آل سعود.
- ٤- عقد معاهدة دفاع وأمن مشترك بينهما، وتنظيم العلاقات بالجهات الأوربية الأخرى^(٣٢).

إلا أن المحادثات فشلت لأن الإمام يحيى كرر موقفه السابق في الاستحواذ على عسير، وعدم اعترافه بضمها من قبل الملك عبد العزيز، وعلى الرغم من محاولة الأخير إرسال وفد آخر للتوصل إلى اتفاق مع الإمام يحيى وتثبيت حدود عسير وتهامة ونجران وأبها، ولكن المحاولات لم تتجح لتعنت الإمام يحيى في موقفه^(٣٣). وعندما خرج الحسن الإدريسي عن طاعة الحكم السعودي في عام ١٩٣٠ ودعم الإمام يحيى له، أصبحت المواجهة مباشرة بين الطرفين، ودارت معارك عنيفة قادها الأمير فيصل بن عبد العزيز، واستطاع أخيراً في عام ١٩٣٣ أن يدخل إلى الحديدة، وضم الحدود الشمالية الغربية إلى الجنوب، وأجبر الملك عبد العزيز آل سعود الإمام يحيى على الاعتراف بسياسة الأمر الواقع Statu Quo إلى أن تم التوصل إلى الاتفاق في ضوء معاهدة الطائف في ٢٠ أيار/ مايو ١٩٣٤، والتي أصبحت بموجبها عسير مقاطعة سعودية^(٣٤).

٥- التنافس البريطاني-الإيطالي:

أدركت بريطانيا منذ بداية تغلغلها في الشرق الأوسط أهمية جنوب غربي شبه الجزيرة العربية الاستراتيجية، وتحكمها بالطرق البحرية والتجارية بين قناة السويس والبحر الأحمر والمحيط الهندي وبلاد الهند، إذ تتصل أوربة بالهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح مروراً بالبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، وتستطيع من خلالها أن تحكم قبضتها على طريق السويس-بومباي، والتحكم بشرق أفريقيا ومسقط وزنجبار، والتوسع في الصومال وشبه الجزيرة العربية بأسرها، وفضلت الحكومة البريطانية اتباع سياسة الإدارة غير المباشرة مع المحميات والمشيخات في الخليج العربي، وأشارت من خلال المعاهدات "المانعة والأبدية" التي عقدتها مع زعامات المنطقة. وأكدت من خلالها أيضاً تأمين محمية عدن ضد أية منافسة أجنبية^(٣٥).

والجدير بالذكر أن بريطانيا حاولت تسوية أوضاع هذه المنطقة مع الإمام يحيى، ولكن الأخير عد نفسه وريثاً شرعياً للدولة العثمانية، ويسعى إلى ضم عسير وعدن إلى أراضيه تحت اسم "اليمن الكبرى" وحاول التفاهم مع بريطانيا لتحقيق هذه الدولة الكبيرة، ولكن بريطانيا رأت فيه الرجل الثاني بعد الملك عبد العزيز آل سعود في منطقة شبه الجزيرة العربية لما يتمتع به من نفوذ سياسي وديني، وطموحاته الواسعة في عسير وجزر قمران وفرسان وعدن، وعدت الإبريسي رجلاً غير قادر على الوقوف أمام الإمام يحيى مع الدعم الإيطالي للأخير عبر أرتيرية، ولذلك تخوفت لندن من ازدياد الأطماع الإيطالية في اليمن والمنطقة بأسرها، مما دفع إلى إصدار إعلان حذرت فيه جميع الدول الأجنبية من محاولة التسلل إلى جنوب غربي المنطقة حيث القواعد البحرية البريطانية.

وقد بين الكابتن جاكوب H. Jacob المعاون البريطاني الأول لحاكم عدن أن مصالح بلاده تتمثل في دعم نفوذها في عدن، وعدم التدخل المباشر في النزاعات

الداخلية للزعماء العرب، والتفكير في إيجاد الحاكم البديل ليحل محل الإدريسي في عسير، وعدم رغبتها في التحالف مع إمام اليمن في مقابل تخليها عن عسير أو محمية عدن لصالحه^(٣٧). ولكنها تبنت موقف الملك عبد العزيز آل سعود في أزمة عسير مع الإمام يحيى، وكتب لها الملك عبد العزيز يستطلع رأيها بعد أن دعاها لإدارة أكثر من مرة لضم عسير إليه، ونجنتهم من تحركات الإمام يحيى، وأبدى رغبته في ضم عسير من خلال رسالة بعثها إلى القنصلية البريطانية في جدة في حزيران/ يوليو ١٩٢٦^(٣٨). ورأت بريطانيا في الملك عبد العزيز الشخصية القادرة على حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة، بعد النجاحات التي حققها في سنوات حكمه الأخيرة في نجد وحائل والحجاز^(٣٩).

وفي هذه الأثناء أعلن عن توقيع معاهدة صداقة وتحالف بين إيطاليا وإمام اليمن في أيلول/ سبتمبر ١٩٢٦ للحفاظ على أمن البحر الأحمر، وإبعاد النفوذ البريطاني عن هذه المنطقة، وأن تكون عسير من نصيب اليمن، وعدم الاعتراف بضم أية قوة أخرى لها^(٤٠).

وعدت إيطاليا أن منطقة جنوب البحر الأحمر ذات أهمية استراتيجية وحيوية مع وجود جزر "قرسان وقمران"، ووجودها في أرثيرية^(٤١).

والغريب في الأمر أن الجانبين البريطاني والإيطالي كانا يعقدان اجتماعات في روما لبحث تسوية الأوضاع في البحر الأحمر، حينما وصلت أنباء عن عقد معاهدة مكة ١٩٢٦، فهرع وزير الخارجية الإيطالي حاملاً البرقية بهذا الخبر إلى رئيس حكومته، والذي فوجأ هو الأخير بالخبر، وعبر عن ذلك بأنه «كارثة حقيقية لبلاده»، وأصاب السياسة الإيطاليين القلق والخوف على مصالح بلادهم في البحر الأحمر، ولكن رئيس الوفد البريطاني في المباحثات حاول تهدئة الأمور، ولم يؤكد فعلاً عقد المعاهدة، وجدد سياسة بلاده في عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية، وأن المعاهدة شأن عربي بين بلدين متجاورين^(٤٢).

حاولت بريطانية امتصاص زخم الإمام يحيى وإيجاد سياسة توازن قوى Balance of Power مع إيطالية في اليمن، وأرسلت الكابتن جيلبرت كلايتون Gelbart Clayton إلى صنعاء في كانون الثاني/يناير ١٩٢٧، وعقد محادثات لعدة أيام مع الإمام يحيى، وعرض الأخير مقترحاته على بريطانية، في استعادة عسير إليه، وتعهد بضمان حرية الملاحة البحرية في البحر الأحمر، ومنحه أيضاً السيادة على عدن، ولكن كلايتون رفض هذه المقترحات، وهدد الإمام يحيى بالهجوم على عدن واحتلالها عسكرياً، مما دعا سلاح الجو الملكي البريطاني للقيام لطلعات جوية استطلاعية فوق الأجواء اليمنية لمراقبة تحركات جيش الإمام يحيى^(٤٣).

وفي منتصف آب/أغسطس ١٩٢٧، أبلغ القنصل البريطاني في جدة J. Berid حكومته في لندن أن مدير الشؤون الخارجية السعودي الدكتور عبد الله الدملوجي بعث إليه رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود إلى ملك بريطانية يحذره من تزايد المخاطر الإيطالية في المنطقة، ولاسيما بعد شحن أسلحة إيطالية إلى الإمام يحيى، واستفسر عن موقف الحكومة البريطانية من جراء ذلك، فأجاب كلايتون أن حكومته على معرفة كاملة بالتحركات الإيطالية في اليمن. وأكد الملك عبد العزيز في رسالة أخرى أن الإمام يحيى أصبح مهيناً للقيام بعمل عسكري ضد عسير والحجاز^(٤٤).

وكتب الملك عبد العزيز إلى الشيخ حافظ وهبة، ليلتقي المندوب السامي البريطاني اللورد لويد Lord Loyd، وتم التطرق في أثناء المباحثات إلى موقف إيطالية من المنطقة، وأبدى وهبة رغبة حكومته بالتوصل إلى اتفاق مع الإمام يحيى ينهي الأزمة سلمياً، ودعا بريطانية من جانب آخر إلى اتخاذ موقف حازم من التحركات الإيطالية وإيقاف تحريض الطليان للإمام يحيى من التحرش بعسير^(٤٥).

وقامت وزارة الخارجية البريطانية بإبلاغ السفير الإيطالي في لندن في ٢٦ أيار/أغسطس ١٩٢٧ للحضور إلى مقرها، ونقلت إليه مخاوف الملك عبد العزيز آل سعود من تصرفات الإمام يحيى في اليمن، وأنها لا تستطيع التمسك بسياسة ضبط

النفس لوقت طويل، وتساءلت عن مدى قدرة الحكومة الإيطالية في كبح جماح الإمام يحيى، وتجنيب المنطقة نشوب أزمات، وأكدت عدم علمها بنوايا الملك عبد العزيز في تهديد اليمن، وأنه يسعى للاستقرار والأمن بعد طول صراع مع خصومه وتوحيد البلاد^(٤٦).

وأسفرت تطورات الأوضاع في نجد والنجاحات التي حققها الملك عبد العزيز آل سعود وضمه الحجاز؛ إلى إدراك بريطانية ضرورة تغيير علاقاته معه، وإحلال معاهدة جديدة بدل معاهدة دارين/ العقير عام ١٩١٥، وتوصلت معه إلى معاهدة جدة في ٢٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٧، واعترفت بريطانية بموجبها بما حققه الملك عبد العزيز في نجد والحجاز وملحقاتها، وأكدت الصداقة والتحالف معه ضد التهديدات الإقليمية والدولية^(٤٧).

وأرسلت حكومة لندن كلايتون إلى روما للتفاوض مع الخارجية الإيطالية، وتنسيق المواقف في البحر الأحمر، وإبعاد التهديد اليمني عن عسير بعد عقد معاهدة جدة ١٩٢٧^(٤٨)، وخطت لندن خطوة أخرى بالتصديق على معاهدة مكة ١٩٢٦، وتم الاتفاق الإيطالي-البريطاني لتثبيت النفوذ البريطاني في جزر فرسان وقرمان وعدن، وجدد الطرفان على أهمية الحفاظ على الأمن المشترك للمنطقة ضد أية تهديدات أجنبية^(٤٩).

وأخيراً تم التوصل في ٢٥ آذار/ مارس ١٩٣٣ إلى معاهدة بريطانية-يمنية لمدة أربعين عاماً "للسداقة والسلام"، واعترفت بها بريطانية بحكم واستقلال اليمن، وتأجيل مسألة تثبيت حدود المنطقة.

الخاتمة:

كان عقد معاهدة مكة ١٩٢٦ في إطار تسوية الموقف حول عسير هو نتيجة طبيعية لما وصل إليه الملك عبد العزيز آل سعود من قوة في منطقة شبه الجزيرة العربية بعد الخطوات الكبيرة التي قام بها من أجل توحيد البلاد ١٩٠٢، استعادة نجد، ١٩١٣ ضم الحساء، ١٩٢١ ضم حائل، ١٩٢٥ ضم الحجاز، ثم أخيراً ١٩٢٦ عسير، خطوة يسود فيها الأمن والاستقرار في عسير وجنوب غربي الجزيرة العربي تحقق مصالح وسياسات بريطانية أيضاً، وإيقاف أطماع الإمام يحيى في عسير والبحر الأحمر، ودعم إيطالية له من أجل زعزعة نفوذ بريطانية من جهة وتأكيد نفوذها في هذه المنطقة.

الهوامش والملاحظات

١- ينظر:

- ١- محمد أزر السماك، الوزن الجيوبوليتيكي للبحر الأحمر، سلسلة رسائل جغرافية (١٢)، جامعة الكويت، ١٩٨٩، ص ١-١٤.
- 2- "Asir", Encyclopaedia of Islam, Vol.1, 1960, P.708.
- ٣- عبد الله بن مسفر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨، ص ١١-١٢.
- ٤- السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢١-١٥.
- ٥- سيار الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، ط١، دار المكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١، ص ٣٩٧.
- ٦- الأدارسة، أسرة عربية تعود إلى مؤسسها إدريس بن وعد الكامل بن الحسن المثنى، ورحلت من المغرب الأقصى في عام ٦٣٣م بزعامه أحمد بن إدريس، واستقرت في مكة لتأدية فريضة الحج ثم غادرت إلى مصر، وقدم إلى هناك السيد علي السنوسي فأخذ عنه أحمد مبادئ السنوسية وظل في الحجاز وتخرج على يديه نخبة من طلبة العلم، ثم توفي في صبيبا عن عمر يناهز الثمانين عاماً، ودفن هناك وصار له مزاراً، وسميت الأسرة على اسمه، وتعاقب أحفاده على حكم الأسرة من بعده. للتفاصيل ينظر: القاضي حسين بن أحمد العريشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، نشره انستاس الكرمل، وبدون مكان، ١٩٣٩، ص ١٠٩-١١١، هارولد

يعقوب، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٣٠-١٣٢.

٧- فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٩٤-١٩٥.

٨- هانز هولفرتير، اليمن من الباب الخلفي، تعريب خيرى حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٤٧-١٤٨.

٩- ينظر:

مفيد الزبيدي، سياسة بريطانية تجاه آل سعود ١٩١٥-١٩٢٧، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩١، ص ٤٢٣-٣٣٥.

١٠- تربة، موقع جرت فيه معركة مهمة بين القوات السعودية والهاشميين في ٢٤ أيار/ مايو ١٩١٩ في جنوب شرقي جبل حضن نحو ١٥٠ ميلاً شرقي مكة، وانتصر فيها السعوديون على جيش يقوده الأمين عبد الله بن الحسين ينظر: عبد الله بن الحسين، الأمالي السياسية، الآثار الكاملة للملك عبد الله، السدار المتحدة للنشر، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ١٤٩.

11- H. E. Jacob, "The Yeman" Journal of Central Asian Society, Vol. XII, Part.1, 1925, PP.30-33.

١٢- آل عائض، ينتسبون إلى عائض بن مرعي من أهل البريدة، ورث الإمارة عن عمه علي بن مجتل وينحدرون من آل سراح فخذ آل يزيد من مغير آل عسير، ودخلوا في نزاع مع السعوديين في عام ١٩٢٠، ثم دخلوا في حماية الملك عبد العزيز. آل سعود ينظر: خير الدين الزركلي، والوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ص ٦٧.

١٣- محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، ط ٢، مراجعة

- وإشراف محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٢، ص ٧٣٦-٧٤٣.
- ١٤- فتوح عبد المحسن الخترش، تاريخ العلاقات السعودية-اليمنية ١٩٢٦-١٩٣٤، ط١، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٣، الكويت، ص ٤٤-٤٦.
- ١٥- أريك ماكرو، اليمن والغرب ١٥١٧-١٩٦٢، تعريب وتعليق عبد الله العمري، الدار العربية للنشر، صنعاء، بدون تاريخ، ص ١١٤.
- ١٦- مجلة المقطم (القاهرة)، العدد (١٠٠٤)، ١٤ أيار/ مايو ١٩٢٥.
- ١٧- سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى ١٩٠٠-١٩٤٨، ط١، مكتبة سعد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٨٨-٨٩.
- ١٨- فتوح الخترش، المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.
- ١٩- صباح مهدي الأموي، إمارة عسير ١٨٧٦-١٩٣٢، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ١٥١-١٦٠.
- ٢٠- محمد بن أحمد العقيلي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٥٦-٧٦٠.
- ٢١- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية ١١٥٨-١٣٠٧هـ، ج ١، دار الملك عبد العزيز، الرياض، بدون تاريخ، ص ٢١٥.
- ٢٢- المرجع نفسه، ص ٢١٥-٢١٦.
- ٢٣- عبد الله بن مسفر، المرجع السابق، ص ١١٦.
- ٢٤- فتوح الخترش، المرجع السابق، ص ٩٤.
- 25- Cilve A. Leatherdale, British Policy Towards Saudi Arabia 1925-1932, Ph.D. 1984, P.238
- 26- S.H. Longrigg, the Middle East, A social Geography, Oxford Press, London, 1963, P 154.

27- David Howarth, *The Desert King, A. Life of Ibn Saud*, Collins Clear, London, 1964, P.150.

- ٢٨- سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن، ص ٢١٢.
- ٢٩- الزرانيق، قبيلة عربية سكنت بين الحديدة وزير، عرفت بالقوة والشدة والبأس، وأبرز زعمائها أحمد الفتياني، ولقي دعم بريطانية للثورة على الإمام يحيى، وساندته بالطائرات الحربية. ينظر للتفاصيل: محمود الشرقاوي، جنوب الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٦.
- ٣٠- سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن، ص ٣٣٤.
- ٣١- مجلة السياسة الأسبوعية (القاهرة)، السنة (٢)، العدد (٦١)، ٢ تموز/ يوليو، ١٩٢١.
- ٣٢- أمين سعيد، اليمن، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري، ط ١، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٨٠.
- ٣٣- مجلة الشرق الأدنى (القاهرة)، السنة (٢)، العدد (٨)، تموز/ يوليو ١٩٢٧.
- 34- Fred Maliday, *Arabia Without Sultans*, Penguin Book, London, 1975, P.95.
- ٣٥- جاد طه، سياسة بريطانية في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٧٠-٧١.
- ٣٦- مصطفى عبد القادر النجار، دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٥٧-٥٨.
- ٣٧- المرجع نفسه، ص ٥٨.
- ٣٨- فتوح الخترش، المرجع السابق، ص ٩٣.
- ٣٩- مصطفى النجار، المرجع السابق، ص ٥٥.

- ٤٠- أريك ماكرو، المرجع السابق، ص ١١٧.
- 41- Leatherdal, Op. Cit., p. 232
- ٤٢- محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، مصدر الشرعية للنظام السعودي، ط٤، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٤٠٣-٤٠٤.
- ٤٣- سيتون وليمز، بريطانيا والدول العربية، عرض للعلاقات الإنجليزية-العربية ١٩٢٠-١٩٤٨، ترجمة وتعليق أحمد عبد الرحيم مصطفى مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١١٩، ص ٤٠٧-٤٠٨.
- ٤٤- محمد جلال كشك، المرجع السابق، ص ٤٠٧-٤٠٨.
- ٤٥- المرجع نفسه، ص ٤٠٩.
- ٤٦- المرجع نفسه، ص ٤٠٩.
- ٤٧- ينظر يوميات كلايتون: J.F. Clayton, An Arabian Diary, University Of California Press, Los Angeles, 1969, P262.
- 48- Leatherdale, Op. Cit., P. 232.
- 49- Ibid., p240.

ملحق (أ)

نص معاهدة مكة في ٢١/تشرين أول/ أكتوبر ١٩٢٦

"الحمد لله وحده: بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين الإمام الحسن بن علي الإدريسي رغبة في توحيد الكلمة، وحفاظاً لكيان الأمة العربية وتقوية للرابطة العربية بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية:

- المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩ هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام محمد بن علي الإدريسي التي كانت خاضعة للأدارة في ذلك التاريخ، وهي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة.
- المادة الثانية: لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة وكذا لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.
- المادة الثالثة: لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.
- المادة الرابعة: لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.
- المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عساكرها من نصب وعزل وذلك من الشؤون

الداخلية فهي حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي عليه في الحكومتين.

▪ المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها أن الحكم لإمام عسير في الوقت الحاضر في فترة حياته للأقاليم المبينة في الفقرة الأولى وذلك (بعد أن يحصل على اعترافات خارجية مشابهة) لصالح الأسرة الإدريسية والسلطات الكاملة للإمامة.

▪ المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد بدفع كل تعد خارجي أو داخلي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

▪ المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

▪ المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

▪ المادة العاشرة: وقعت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين.

▪ المادة الحادية عشرة: وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخرة ١٣٠٤هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦.

